معرض

دروسٌ عن الخرائط الكاذبة

منى حاطوم عالمٌ مختلف عمّا تعلّمناه

في المعرض الذي يخصّصه لها «معهد بلنسية للفن المعاصر» بمناسبة فوزها بـ«جائزة خوليو غونزاليس»، تقدّم الفنانة رؤيتها لكوكب تعتريه الهشاشة والأزمات

جعفر العلوني

تتلاقى في فنّ رسم الخرائط الهندسة والفنونُ الجميلة والسياسة. لسوء الحظّ، لا يمكن أن نعتبر هذا اللقاء بريئاً، بل إنّه، في أفضل أحواله، لقاءٌ ماكر: تتنكّر فيه بعض الاهتمامات والأشكال في صور أخرى، فيمرّ الجميل بالقبيح، الواقعيّ بالخياليّ، الماضي بالحاضر، والأرض بالسماء. الخريطة هنا أفقٌ مفتوحٌ دائماً على الكارثة، وعلى نقاط العالم الساخنة: خرائط للترهيب، وأخرى سريّة لا تُعرض أبداً؛ خرائط مليئة بالأوهام، وأخرى تدعو للحرب.

هنا، في المعرض الذي يخصّصه «معهد بلنسية للفن المعاصر» لأعمال الفنانة الفلسطينية ـ البريطانية منى حاطوم، والذي يحمل اسمها، تُكثّر الخرائط التي تكشف حاطوم من خلالها عن قلقها بشأن مشاكل الحدود، والنزاعات المسلحة، والمركزية الأوروبية التي تتراقص على حافّة الهاوية، والكوارث المستقبلية التي يسببها التلوث وتغيّر المناخ. المعرض الذي افتُتح في السادس عشر من نيسان/ ابريل، ويستمرّ إلى غاية الثاني عشر من أيلول/ سبتمبر الجاري، يأتي بمناسبة فوز حاطوم بـ«جائزة خوليو غونزاليس» لعام 2020 (يمنحها مجلس مدينة بلنسية الإسبانية)، وذلك نظراً لـ«مساهمتها في تطوير الفنّ الحديث».

يجمع المعرض عيّنة من حوالي ثلاثين تجهيزاً ورسماً ومنحوتةً تدور حول ثلاثة موضوعات: الصراعات، والخرائط، والأشياء اليومية؛ استطاعت منى توظيفها بجمال دقيق، غامض، وخطر، من أجل هدف واحد فحسب: تذكّر هشاشة العالم، التي غالباً ما ننساها، والقيام بذلك من خلال مشاهد محفوفة بالمخاطر.

تقوم هذه الأعمال، في جوهرها، على فكرة التواصل العفوي، بحيث يستطيع المتلقي فهم الرسالة ـ أو على الأقل جزء منها ـ بطريقة مباشرة وواضحة: كرة أرضيّة تُرسم بأضواء النيون تقاط العالم الساخنة. هنا، تحديداً، أيّ إهمال من قبل المتلقّي أو محاولة لَمْس ستؤدّي إلى انفجار في الصالة. في الجانب الآخر ثمّة قوالب صابون رُسمت عليها تشقّقات وخطوط تفصل بين الأراضي الفلسطينية المحتلّة ويمكن أن تتفتّت وتتلاشى بسهولة؛ إلى الأمام منها كرةٌ أرضية مكوّنة من كرات زجاجية شفّافة تتارجح على حافّة هاوية. دائماً ثمة نقطةٌ قلقة، والخطر يتربّص؛ هناك سجادةٌ سُحبت خيوطها بعناية في فكرة تعبّر عن خواء القارات. ربما تحاول منى حاطوم عبر هذه المحاولات نسف مفهوم الخريطة وفكرتها، لا سيّما خريطة العالم، لتذكّرنا بحقيقة أساسية: أن جميع الخرائط خاطئة، وأن العالم ليس كما تعلّمناه. بمعنى آخر، إن هذا التجريد لخطوط الأرض والمحيطات وهذه الصور التوضيحية التي تعني «الحدود» أو «سلسلة الجبال» أو «النهر» هي حِيَل بسيطة لتحديد الواقع بالطريقة التي تُناسب القوّة المهيمنة لكلّ لحظة. الأشياء موجودةٌ طالما أُطلقت التسميات عليها، وهذا، بدوره، يؤثّر أيضاً على شكل الكوكب وحدود الأمم، وعلى طريقة فهم التاريخ، بشكل أو بآخر.

ما إن تدخل المعرض حتى تصادف تركيبا صوتيا واستعاريا يحمل عنوان «ملحا 2011»، ويتكوّن من عدّة أكوام من الأنابيب الفولاذية التي تجتمع معاً لتشكّل صورة طيفٍ حضري. تعرّضت هذه المادة لعنفٍ واضح. الوظيفة هنا خلقُ انطباع أن ينتقل الزائر بين أبنية مدينة تفحّمت وصارت سواداً من جرّاء تفجيرٍ عنيف.

> اعمال تُجسّد القلق الذي يثيره كوكبٌ في حالة خطر دائم

> الحدود حيلةٌ لتحديد الواقع بما يناسب القوّة المهيمنة

هذه البقعة غير السارّة، تُفسح المجال أمام الزائر للوصول إلى غرفة فسيحة، مزجّجة على أحد جوانبها، حيث توزّعت قطع وأعمال ورقية أخرى ومنحوتات وتركيبات كبيرة اشتغلت عليها منى حاطوم خلال العقدين الماضيين. تميل الفنانة في هذه الأعمال إلى زيادة حجم الأشياء اليومية وتعديلها حتى تصبح كائنات فنية مهدّدة وغير مريحة وغريبة. هكذا، على يدي هذه المبدعة الفلسطينية، تُصبح مبشرة الطماطم كبيرة الحجم أداةً للتعذيب أو شاشةً ممتعة. تُحاول حاطوم أن تعرض عملاً متنوّعاً، شكلاً ومعنىً، وأن تقدّم للجمهور تجربة مادّية ومباشرة من خلال مجموعة من الأعمال الرئيسية، والتي حصل بعضها بالفعل على مكانة أيقونية في الفن المعاصر.

تركّز حاطوم اهتمامها على ابتكار قطع لها تأثيرٌ عاطفي ونفسي على المشاهد، على الرغم من شكلها البسيط والمختزل. وفي كثير من الأحيان تتعقّد دمج طبقات متناقضة من المعنى لكي تولّد الغموض والتضاد الذي يجعل القرّاءات والتأويلات كلّها ممكنة. إضافة إلى ذلك، كثيراً ما تلجأ إلى استخدام موادّ جذّابة ومُغرية لكي تتمكّن من خلق أشياء وتجهيزات موحية، ولكن ما إن نقترب منها لرؤيتها، حتى ندرك أن خطراً ما أو تهديداً أو حتى موتاً وشيكاً يحوم حولنا.

ترى منى حاطوم العالم في حالة خطر دائم، في حالة حرب مستمرة، في حالة صراعات تندلع كلّ يوم، بلا انقطاع. ليس هذا فحسب، بل نراها اليوم، في أعمالها أيضاً، تعكس هواجسها القلقة التي تُنذرنا بأخطار أمرّ وأوحش: تغيّر المناخ، الوباء الذي يهدّد حياتنا وبقاءنا؛ العنصرية إزاء السود؛ حقوق المرأة وغيرها من أوجاع الإنسانية التي تُفجعُ في حنجرة هذا الكوكب.

ذاكَ الشعور بالهشاشة

في توضيح لها حول معرضها المقام حالياً في بلنسية، ولا سيّما عن عمل «بقعة ساخنة» (انظر الصورة أعلاه)، تقول منى حاطوم: «ما يهمّني حقيقةً هو التباين في جمال المادّة، واتّقانها، ومن ثم شعور الخوف والخطر الذي يثيره الشيء المعروض». شعورٌ يمكن لزوّار معرضها، في الواقع، ان يحسّوا به، بل ان يخلق عندهم رغبة في تغيير هذا العالم المصطبغ بالهشاشة وسيطرة المهيمنين، بدءاً من حدوده وانتهاءً بتاريخه المكتوب بالدم.

«بقعة ساخنة» (من المعرض)

تحويل

أكثر ممّا يحدث بهدوء

باسم البريص

تحدث أشياء مهمّة كل يوم، هنا وفي كلّ مكان، وتؤدي الأزمنة الغيروسية إلى العالمية والمحلّية في نفس الوقت. لكنّ الأشياء، التافهة، تحدث بأعداد أكبر بكثير. إنها عجلة الستراتوسفير التي تتحرّك، نوع من الزمن الخالد. بعض الأشياء، تبشّر بما سيأتي. البعض ينسحب ويفعل ذلك بهدوء، دون الكثير من الجلبة. البعض الآخر، نقيض وخِلْف خلاف، وغير. وتراه يواظب على الشرح في وسائل إعلام، كشيء أكثر ممّا يحدث بهدوء (وما زلنا لا نعرف بالضبط ماذا نسميه).

ومن بين الإعلانات منخفضة الصوت عن المستقبل، يتمّ الكشف عن إغلاق شعراء لأبواب بيوتهم، واختيار العزلة المطلقة. هذه التي هي المصنع المثالي للسياحة والترفيه الثقافي، في القرنين العشرين والحادي والعشرين. مع أن على الشاعر أن يكون مركزاً للفن والثقافة.

ويجب أن يكون أيضاً: مكاناً يجب أن تكون فيه، دون أن يُطلب منك ذلك، فقط عن طريق دعوتك للدخول.

إن الشاعر - الذي لا يزال البعض يسمّيه متنبّئ العصور . أكثر أو أقلّ شهرة، ربّما لتجنب الإشارة الرئاسية للاسم الرسمي. وكل شاعر سيكون قيد الإنشاء لمدة أربع سنوات، على الأقل (أنا مثلاً، على قيد الإنشاء منذ نصف قرن، والله).

وهكذا، لا أراكم الله محنةً بعزيز.

(شاعر فلسطيني مقيم في بلجيكا)

كتاب

محمد الأسعد حين تعجز الأيديولوجيا عن اختراع وطن

في تفكيك السرديات الصهيونية

يقرأ الشاعر والناقد الفلسطيني، في كتابه الصادر حديثاً عن «دار خطوط وظلال»، مازق الاحتلال الاسرائيلي كما توضّحه تعبيرات كتّابه وساسته

عمّان ـ **العربي الجديد**

يواصل الشاعر والناقد الفلسطيني محمد الأسعد (1944) مشروعه في تفكيك الأساطير المؤسّسة للاحتلال الإسرائيلي، متّكئاً في مقالاته ودراساته التي قدّمها خلال أكثر من نصف قرن، على اطلاع معمّق في حقول معرفية متعدّدة، من التاريخ وعلم الآثار والعلوم الاجتماعية، وعلى رؤية واضحة تتحرّر من وعي الهزيمة بوصفها طريقاً وحيدة للمقاومة الثقافية.

في كتابه «الفلسطيني يتلو فاتحة القرن الجديد: قراءات في الماضي/ الحاضر»، الذي صدر حديثاً عن «دار خطوط وظلال»، يشير الأسعد إلى «عجز الصهيونية عن كتابة وقائع بطولة، فتلجأ إلى التخيّل»، وتصنع «مسعدة» (أسطورة قلعة ماسادا اليهودية) خاصة بها»، مبيناً أن «محتلّي القلعة من الطائفة اليهودية قضوا على أنفسهم بأيديهم خشية العقاب الروماني المعروف سلفاً، لأنهم يعرفون جيداً أن ذبح حامية رومانية استسلمتْ جزاؤه الموت...».

ويرى المؤلّف أن هذه المحاولات في تخيّل نموذج استشهادي في الثقافة الصهيونية اصطدمت بنموذج استشهادي أعلى، ظهر في إطاره التاريخي وعلى أرضه؛ يقصد الفلسطيني الذي يمثّل ملايين العرب، في تضادّ مع الصورة الكاريكاتورية لـ«البطل» الصهيوني الذي يقذف القنابل في فلسطين ليَنتقم لحبيبته التي ماتت في غيتو وارسو.

وحول صورة العربي في الرواية الإسرائيلية، يتوقّف الأسعد عند نشر رواية «الطريق إلى عين حارود» لعاموس كينان في مجلّة «الكرمل» عام 1984 بترجمة وتقديم سميح القاسم، لافتاً إلى أن أهميتها تكمن في إضاءة الجانب الغامض من الفكر الصهيوني في الثمانينيات وبعد اندحار جيش الاحتلال في لبنان، وجملة التطوّرات الديمغرافية والسياسية والثقافية في فلسطين.

يشير الأسعد إلى الالتباسات التي تضمّنتها مقدّمة القاسم حول أن كينان «ديمقراطي» و«ليبرالي» يقف مع حقوق الفلسطينيين، بينما يصّر في روايته على قطع صِلة بطلها محمود بفلسطين وتقديمه كعربيّ طارئ عليها، حيث يعلّق على حادثة قتله: «إنها ليست حربه... لقد مات في حرب يصعب القول إنها حربه، وليس من شيء أشدّ قسوة وعبثية من قتل إنسان في حرب لا تمتّ إليه بصلة». ولم يلاحظ القاسم، كما يقول الأسعد، اختراع الكاتب لأماكن وكهوف لجماعات يهودية بما يناقض الأركيولوجيا، واسترجاعه قصصاً من التوراة كذلك.

ويعتقد صاحب كتاب «مستشرقون في علم الآثار: كيف قرأوا الألواح وكتبوا التاريخ» أن الأزمة في الوعي الصهيوني انطلقت منذ إقامة التجمّع الاستعماري، والذي يمكن تلخيصه بأسئلة الفيلسوف النمساوي مارتن بوبر إلى بن غوريون حول معنى وجود أرض لليهود والتي لم يجد الأخير لها جواباً، وبقيت تطرحه اتجاهات احتجاجية قلقة ضدّ الحروب طارئ عليها، حيث يعلّق على حادثة بإهظة التكاليف لهذا التجمّع، وضدّ إراقة مزيد من دماء المستعمَرين، كما تُبرزه تعبيرات العديد من الأكاديميين والمثقّفين الصهاينة الذين لا ينفكّون يتساءلون عن عجز الأيديولوجيا في أن تتحوّل إلى وطن، وهي سائرة إلى نهاياتها.

ويقرأ الأسعد أعمال كتّاب مثل ديفيد غروسمان وبهوذا عميخاي وداليا رابيكوفيتش وعاموس عوز وغيرهم، في سياق الأحداث التي تُثبت فشل الاحتلال الذي يتواجه دوماً مع حقيقة حاول إنكارها خلال ثلاثة وسبعين عاماً، وتتمثّل في أن المشكلة في «الديمغرافيا» وليست الأرض، والتي تُبنى عليها مستويات متعدّدة من المعنى؛ معنى لا يزال متوهّماً وغائماً وغير متحقّق في الرواية الصهيونية.

> اختراع الاحتلال بطولات متوهمة تحجب واقعه الاستعماري

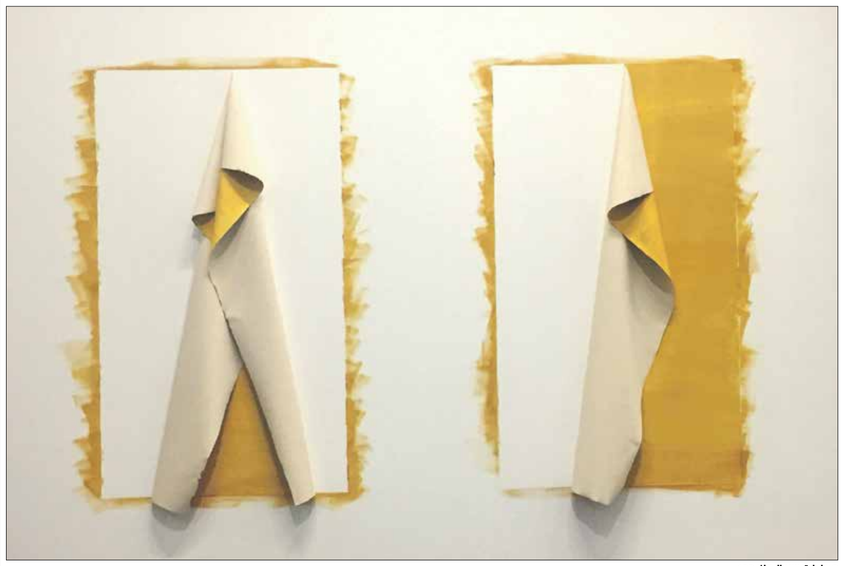

عمل لـ تيسير البطنيجي

إضاءة

نقاشات على هامش «الدوحة عاصمة للثقافة الإسلامية 2021»

التفاتٌ إلى المكتبات العامّة

تنظّم «مكتبة قطر الوطنية»، بعد غد الاثنين، ندوة تناول دور المكتبات العامّة في الحفاظ على التراث الثقافي العربي والإسلامي

الدوحة ـ **نيماء دحيم**

لا يمكن كتابة تاريخ المكتبات في العالم دون الوقوف على مساهمات الحضارة العربية الإسلامية. لكن فيما تطوّرت المكتبات - خصوصاً في الغرب - على مستويات تقنيات الترتيب والتصوّرات العامة، بقيت مكتبات المنطقة العربية حيث كانت، وذلك حتى سنوات قليلة إلى الوراء، حيث بدأ يظهر فيها وعي جدّي بضرورة رعاية المكتبات من جديد.

ضمن فعاليات «الدوحة عاصمة للثقافة الإسلامية 2021»، تنظّم «مكتبة قطر الوطنية» بالتعاون مع وزارة الثقافة والرياضة، و«منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة»، بعد غد الإثنين، السادس من أيلول/ سبتمبر الجاري، ندوة بعنوان «دور المكتبات العامة والخاصة في الحفاظ على التراث الثقافي الإسلامي»، وهي تهدف إلى إلقاء الضوء «على دور المكتبات في الحفاظ على التراث الثقافي الإسلامي وأهمية الحفاظ على هذا التراث»، كما يرد في تقديم الفعالية على موقع «مكتبة قطر الوطنية».

يشارك في الندوة كلٌّ من: حمد الكواري، رئيس «مكتبة قطر الوطنية»، ومحمد زين العابدين، مدير قطاع الثقافة والاتصال في «منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة»، وسوزان لبقي، مديرة «مكتبة متحف الفن الإسلامي»، إضافة إلى عدد من المشتغلين في «مكتبة قطر الوطنية» مثل عبير الكواري، مديرة «إدارة البحوث وخدمات التعلّم» في «مكتبة قطر الوطنية»، ومكسيم نصره، أخصائي صيانة الكتب، ومحمود زكي، أخصائي المخطوطات. تدير الجلسة مريم المطوع، رئيس قسم إتاحة المجموعات في المكتبة التراثية في المكتبة.

> هل تمثّل المكتبات العربية اليوم فضاءات دعم للبحث العلمي والإبداع؟

وقد ورد في تقديم الندوة: «المكتبات العامة هي من أبرز معالم النهضة العلمية عند العرب والمسلمين، فقد انتشرت خزائن الكتب في أقطار العالم الإسلامي، وعُرف تاريخنا الإسلامي حقباً اتّسعت فيها رقعة العلم والتأليف في كلّ الفنون والميادين، وشهدت بروز أكبر المكتبات التي كانت تُشدّ إليها الرحال من كلّ أقطار العالم لصيتها الذائع وندرة كتبها».

تقديمُ يفتح على مجموعة من الإشكاليات التي تعيشها المكتبة العربية اليوم. فكم عدد المكتبات التي تحقّق جاذبية بما توفّر للباحثين ما لا يجدونه في أماكن أخرى؟ وهل تمثّل المكتبات العربية اليوم فضاءات داعمة بشكل فاعل لقطاعات مثل البحث العلمي والإبداع الأدبي أو الفكري؟

صحيحٌ أن رصيد المكتبات التراثية كبير في العالم العربي، وصحيح أنه توجد مكتبات - مؤسسات، ومنها «مكتبة قطر الوطنية»، و«مكتبة الإسكندرية»، و«دار الكتب الوطنية» في تونس، وقد حقّقت الكثير من المنجزات على مستوى تجميع الكتب والمخطوطات والعناية بها، ولكنّ المكتبات اليوم باتت لها رهانات أكثر إشكالية، فالوصول إلى ما في خزائنها وتثمينه بات يحتاج إلى استراتيجيات تواصل حديثة وإلى تفاعل مع بيئات متعدّدة، من الفضاء الأكاديمي إلى الجمهور الواسع.

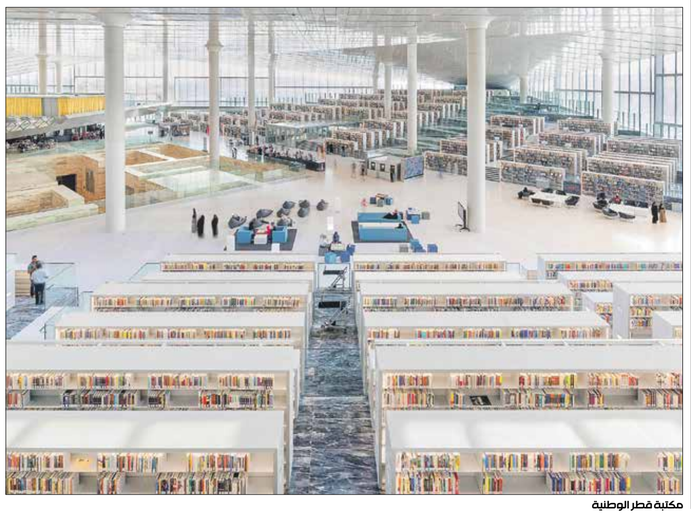

مكتبة قطر الوطنية

فعاليات

تُعرض عند الثامنة من مساء الاربعاء المقبل، على «مسرح الشمس» في عمّان، مسرحية **العقاب**، من إعداد وإخراج **عمر سلام**. العرض مقتبس من رواية «ثم لم يبقَ احد» للكاتبة البريطانية اغاثا كريستي وتدور احداثها حول عشرة غرباء يُدعون الى جزيرة ليحاكموا على جرائم ارتكبوها فيلقون فيها جزاءهم.

يُفتتح عند العاشرة من صباح السبت المقبل، في «جامعة عين شمس» بالقاهرة، مؤتمر دوليّ بعنوان: **اتجاهات معاصرة في الدراسات العربية والثقافات الأجنبية: النظرية والتطبيق**، ويتواصل ثلاثة ايام. يناقش المؤتمر عدّة محاور منها نقد النقد وبلاغة الجمهور، وترجمة الدراسات العربية والاسلامية إلى اللغات الاجنبية، وتاريخ العربية وواقعها في الثقافات الغربية.

تنطلق مساء الخميس المقبل الدورة الثالثة من مهرجان **ريف: ايام بيئية وسينمائية** في بلدة القبيات شمال لبنان وتتواصل لخمسة ايام. من بين الافلام المشاركة: طرس، رحلة الصعود إلى المرئي لـ **غسان حلواني**، و اضطراب لـ **سارة قصقص**، و زهور زرقاء عديمة الرائحة تستيقظ قبل اوانها» لـ **بانوس ابراهميان**.

ينطلق السبت المقبل في «مركز القطّان الثقافي» بمدينة رام الله معرض **فلسطين من الأعلى** الذي يتواصل حتى مطلع العام المقبل. يضم المعرض مواد ارشيفية منذ العهد العثماني وصولا إلى الاستعمار الاسرائيلي تضيء كيف تمكّنت الحكومات من مراقبة الارض والشعب والموارد عبر التصوير الفوتوغرافي الجوّي.